رأي القدس

لقاء مشعل عباس

■ ثلاثة ايام، واجهزة الاعلام العربية، منشغلة بقضية واحدة، وهي اجتماع الرئيس الفلسطيني محمود عباس الذي يزور دمشق حالياً مع السيد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، وكأن هذا الاجتماع، في حالة حدوثه، سيكون الوصفة السحرية التي ستحل كل مشاكل الشعب الفلسطيني دفعة واحدة، وستحرر مدينة القدس المحتلة، وستؤدي الى قيام الدولة المستقلة.

فتارة يصرح مسؤول فلسطيني في معسكر رئيس السلطة بان الاجتماع سيتم، ليخرج علينا متحدث آخر باسم حماس ليؤكد انه لن يتم لان هناك عقبات كبيرة تحول دون اتمامه من الصعب بل من المستحيل تذليلها.

دراما فلسطينية بكل المقاييس تضيف تشويها جديدا للصورة الفلسطينية المشوهة اساسا بسبب حرب الاتهامات والتصفيات بين الفصيلين الكبيرين المتناحرين على سلطة وهمية.

بالأمس تحققت المعجزة، واجتمع الرجلان، بعد وساطة سورية مكثفة، تعكس حماسا سوريا مفاجئا للوفاق، بعد ان ظلت الحكومة السورية دائما ضد هذا الوفاق، حتى تظل «حماس» في المحور الايراني ـ السوري، وتفشل محاولات التهدئة الامريكية التي تهدف الى وعود بحلول شكلية للملف الفلسطيني لاتاحة الفرصة كاملة للتركيز على الخط الايراني.

المأمول ان يتمخض اللقاء عن اتفاق على تشكيل حكومة الوحدة الوطنية الموعودة، لانه، اي الاتفاق، سيؤدي الى هدنة، وحقنا للدماء، واعطاء الشعب الفلسطيني المحاصر المجوع فرصة لالتقاط الانفاس، بعد ايام عصيبة من التوتر وحرب الاتهامات والبيانات بين الجانبين المتناحرين.

فمن المفارقة ان القضية الفلسطينية جرى اختصارها في النضال من أجل الفوز بهذه الحقيبة الوزارية او تلك، واضافة كلمة هنا، وحذف اخرى، او تلطيف ثالثة في خطاب التكليف الذي سيصدره الرئيس عباس الى رئيس الحكومة الجديدة.

العقبة الرئيسية المتبقية مثلما افتى السيد مصطفى البرغوثي رئيس المبادرة الفلسطينية وأحد الوسطاء تتلخص في كلمة واحدة فقط، فالرئيس عباس يصر على «التزام» الحكومة الجديدة بجميع الاتفاقات الموقعة، بينما تصر حركة «حماس» على «احترام» هذه الاتفاقات لان الالتزام يعني التنفيذ والاعتراف، بينما الاحترام هو شيء آخر مختلف تماماً.

حركة «حماس» تنازلت عن وزارة المالية للمرشح الامريكي والعربي السيد سلام فياض، بعد ان جرى اقناعها بأن تعيينه في هذا المنصب سيؤدي الى انهاء الحصار، وتدفق اموال الدول المانحة من جديد. ثم تنازلت مرة اخرى عن وزارة الداخلية لشخصية مستقلة، بعد ان تنازلت عن وزارتي الداخلية والاعلام. وبات واضحاً انه لم يبق لها، وهي الفائزة في الانتخابات غير وزارة هامشية مثل الاوقاف والبلديات والنفط على امل اكتشافه مستقبلا.

الوضع الفلسطيني مخجل بكل المقاييس وبات الاهتمام كله منصب على المناصب، وتقاسم الوزارات، وارضاء الولايات المتحدة والسيدة كوندوليزا رايس وزيرة خارجيتها اما المقاومة فعليها ان تنتظر ربما لاسابيع او اشهر او سنوات.

حرية الرأي والتعبير في ظل قوانين المطبوعات

النظام العربي في القبضة (البوشية) مجدداً... إلى متى؟

مطاع صفدي *

■ العسر الحقيقي الذي تكابده الطبقة الحاكمة في أمريكا إزاء إحباطات الممارسة السياسية المتوالية والتي ترتكبها الإدارة الحالية للبيت الأبيض، لا يعود ـ هذا العسر ـ إلى مجرد إخفاقات عابرة لا تتعدى مستوى التسمية التداولية لها تحت مصطلح الأخطاء. فليس البيت الأبيض هو وحده الذي يخطئ أو يتعثر في العراق مثلاً أو لبنان أو فلسطين، وعليه أن يتحمل المسؤولية التي تلقى على عاتق الفريق الرئاسي، أو على شخص الرئيس بالذات. إنها أمريكا نفسها التي أمست أخيراً تنوء تحت طائلة الإخفاق وتداعياته الذاتية. الأمر الذي يمس صلب استراتيجيتها الكلية، المتمثل في عقيدتها، وليس فقط في خططها أو تكتيكاتها.

القول إن المشروع الإمبراطوري هو الذي تهتز قواعده، يصير موضع الشكوك وفقدان الثقة بأولوياته، وأنه يبلغ تلك الحالة البائسة من ضرورة إعادة النظر في ملفه بكل فصوله. فلا يتعلق الموضوع بما يعلنه بوش عن تغيير ما في استراتيجيته كمحاولة أخيرة للاستحواذ على العراق ومحيطه، كما كان الهدف المعلن في بداية الغزو؛ فالرهان المطروح لدى طبقة الحكم هو ما يتبقى من أمريكا بعد التخلي عن الامبراطورية. أو هو السؤال المتعلق ليس بهوية الدولة الأعظم في هذا العصر فحسب، بل بما تعنيه الدولة الأقوى بدون برهان التفوق بالقوة تحت طائلة الاختبارات العملية التي تُزج بها.

ذلك ما يفسر قليلاً مآل الموقف الواحد لحزبي السلطة (الديمقراطي والجمهوري)، بالرغم من تعارضهما السياسي الظاهر حول عناصر المسألة المحورية الراهنة ما بين العراق وإيران ومحيطهما العربي. فالإشكالية تتعدى هزيمة بوش أو المؤسسة الرئاسية، إنها التعبير عن ذلك الاختبار الكارثي الذي يأتي بمحصلة المشروع أو الرهان إلى بدايته قبل الانطلاق نحو بقية مراحله، أي أن إخفاق المقدمة يجعلها خاتمة المحاولة كلها. فالتدشين يصير إلى مأتم المولود قبل أن يشب عن الطوق.. ومن هنا يمكن أن تفهم تصرفات البيت الأبيض وطبقته الحاكمة من حوله، بعد الكشف عن تقرير لجنة بيكر ـ هاميلتون: يسارع فريق المحافظين الجدد بوضع خريطة الالتفاف على نتائج التقرير (التاريخي). يخترعون مفهومها المركزي هكذا: إقحام العرب جميعاً في بؤرة النار. والوسيلة الأولى هي التهديد بعَرْقنة كل دولة تتأبى الاصطفاف الطوعي في المكان المُخصص لها من طوبوغرافيا المعركة القادمة المحتومة. ومن أجل أن تقع مثل هذه المعركة لا بد من اختراع استقطاب ما، شرط أن يُشتق من عقد اللاشعور الجمعي للكتل الشعبوية المترسبة في سحيق الإهرامات الأهلوية والسابقة على نشأة مجتمعاتها المدنية وإقامة دولها أو كياناتها السياسية. إنه الموروث الشعبوي المسكوت عنه الذي ينبغي أن يتحول إلى خزان من القوى العمياء، لكنها المقدّسَنة بتعاويذ الطقوس وهواجس الغيب المسيطر على الأبدان من دون العقول والقلوب.

إنه استقطاب جغرافية المنطقة كلها بين قرنيْ ثنائية مجلوبة من سحيق التراث المذهبي، ما بين الاسمين العلَمَين الكبيرين: السنة والشيعة. حيثما يمكن المراهنة على تسويق ايديولوجيا تعبوية جديدة، كيما تغطي على معطيات الصراع الحدي الأعظم والمستدام ما بين المشروع النهضوي العربي والاسلامي، والمشروع الأمبريالي الغربي المزمن، وفي طبعته الأخيرة الأمريكية الصهيونية، وفي لحظة الذروة من تقرير مصير هذا الصراع لصالح أحد القطبين ضداً على الآخر. وقد تجيء لحظة الذروة هذه عندما تتم النقلة العصية للثنائية الجديدة، التي هي قيد التصنيع والتنزيل في لحم الواقع الاجتماعي وعظمه، من مرحلة إنجاز الأدلجة اللفظوية لمفرداتها وسياقاتها الشعبوية حسب تضاريس التمذهب في كل قطر على حدة. ومن ثم يجري تعميم نيران الفتنة ما بين الأقطار. فيترافق الانحلال الداخلي للقطر مع تسعير الحدود ما بين جملة الأقطار، وقلبها إلى خطوط تماس ما بين جبهات معسكرة.

ليس المطلوب مضاعفة أعداد الكيانات السياسية القائمة في جغرافية المنطقة، بل تكثيرها إلى غيتاوات، إلى معازل أشبه بأورام سرطانية تنتشر في النسيج القطري والقومي. ولأن الوباء لا يزال محصوراً في خلايا القطر النموذجي كحقل للاختبارات، وهو العراق، يجادل فريق الرئيس بوش جبهات المعارضة المفتوحة ضده داخل طبقة الحكم نفسها، وفي أجهزة الإعلام، ومؤسسات الرأي. وما الإعلان عن استراتيجيته الجديدة، سوى مجرد العزم على إحداث بعض التعديلات التكتيكية في الاستراتيجية الأصلية للغزو. كل هذا يحدث من منطلق إدارة الأزمة وليس حلها. ولقد نجح الغزو والاحتلال من بعده في إعداد وتحضير مختلف عوامل الأزمة. والمطلوب الآن التشبث بخطط تفعيلها وتعميمها، وتوفير مواردها الدموية من إشاعة ثقافة المهالك الجماعية. فمن (حق) بوش ألا يستسلم لإرادة الانسحاب، ألا يخضع لتوجيهات تقرير بيكر ـ هاميلتون، ألا يتنازل للديمقراطيين عن جوهر إنجازاته (التاريخية)، المتمثل خاصة في تغليب أدلجة المذهبية على كل ما عداها من الإيديولوجيات النضالية المحلية. إنها إعادة قولبة المجتمع العراقي كمدخل استراتيجي كياني لإعادة قولبة المنطقة كلها من حوله. فكيف له أن يستقيل من مخططه وقد شارف على بلوغ غاياته القصوى.

الابتلاء العربي بأمريكا قديم وحافل باختبارات الطغيان والرد عليها. لكن الابتلاء بشخص كالرئيس بوش هو من النوع الاستثنائي الذي لم يجد له منافساً في كراهية العرب الا شارون. إذ يصير العداء هاجساً ذاتياً، تتحلق حوله صورة شخصيته، لكنها شخصية لرئيس الدولة العظمى في هذا العصر. ولأن نظام هذه الدولة يلوي رقبة الديمقراطية التي تدعيها بما يسمى بالجمهورية الرئاسية، فإنه يتيح للجاثم في رأس الهرم أن يذهب بالهرم كله إلى أية مغامرة دولية دموية، كما لو كان الرئيس قيصراً رومانياً أو فاتحاً بدائياً من فصيلة هولاكو أو جنكيز خان. والعجيب هو أن هذه الدولة العظمى، زعيمة العالم الحر، والقيمة على ديمقراطية الدول أن تجر حضاراتها وشعوبها المتفوقة وراء حروب عبثية تكرر ذات المبررات المفتعلة دائماً لاختراع العدو الخارجي وإسباغ كل خصائص الشيطنة المهددة بخيارات الحياة أو الموت ضد ضحاياها. هكذا يتَم تصوير الجلاد الأمريكي وكأنه هو الحمل الوديع الذي سيفترس الذئب القالت في غابات العالم. فما على هذا الحمل إلا أن يغدو هو الذئب الأعظم. هكذا يصير تدمير الشعوب المسالمة إنجازاً بطولياً تسوغه العدالة وتحميه حقوق الإنسان. هكذا تمسي المهالك الأهلية في العراق سبباً وجيهاً لتصديرها إلى جيران البلد المنكوب واحداً بعد الآخر. فإن الاخفاقات الكارثية مع عرب العراق ينبغي في عرف البيت الأبيض، الأحمر، أن ترتد على المشرق كله، تغطية للآثام والجرائم ضد الإنسانية لا تكون الا بابتكار المزيد منها.

فلا بد إذن من إدارة الفظائع العراقية غير المسبوقة، حتى تنضج جاهزياتها ومنهجياتها؛ فترقى إلى مستوى الأمثولات الجهنمية الباعثة على اختراع او استيقاظ شياطينها النائمة في قيعان المجتمعات الأخرى المجاورة، والمقموعة بالاستبداد السياسي، لكنها المعدة والجاهزة للانفجار بأولى الشرارات المتطايرة من حرائق الجيران، والمزروعة على خطوط التماس بين الكتل وفق توزيعات مدروسة.

ما زالت متوالية الخراب محتاجة إلى رعاية مهندسها. فكيف يمكن له أن يتخلى عنها مع تعاظم الحاجة الملحة إلى عبقرية في ابتكار المخططات ورسم السيناريوهات، واختيار الأدوات القديرة، وانتهاز الفرص الذكية لتحقيقها. فالمنطقة تعج بكل المواد الأولية المطلوبة لمسرحة العنف، وانتاج التنويعات التفصيلية على موضوعاته الأساسية المتوفرة عفوياً، أو عن سابق تصميم وإرادة.

إن قولبة الشعوب وإعادة صياغاتها في غير قوالبها باتت تشكل أعلى فنون العصر المرآوي. الفن الذي يتعاون على اغنائه بالأفكار العلمية وتفصيل مواده، وابتكار أحابيله ونمذجات ممارساته العملية، خبراء ينحدرون من الجامعات ومراكز الأبحاث السرية والعلنية. فلا تقع عملية تفجير واحدة في الأحياء المذهبية ببغداد، عن صدفة أو نزوة أو تخطيط عرضي. والمهالك الجماعية تتصادى دلالاتها فيما بينها. فالحرب الأهلية هي أحدث صناعة عسكرية استراتيجية بأدوات مدنية. وأفجع ما في واقعتها ليس انسياق الكتل الجاهلة كالقطعان الى مذابحها فحسب، ولكن هو انخراط العديد من رموز الطبقة المثقفة والوسطى في وعثائها، تخطيطاً خبيثاً وتنفيذاً والغا في الدم والنار والدموع والعويل.

البوشية معطوفة على أجهزة المهالك المحلية، سواء كانت حكومية أو أهلوية، أضحت جميعاً متحالفة في الخطط والأهداف، متآلفة في المساعي والتدابير، منخرطة في عسكرة السياسات والعقائد، لم تعد الأحزاب والجمعيات الأهلية في معظمها سوى استطالات للأجهزة الأمنية. وأما إعلام الصورة والصوت والكلمة فإنه مخطوف العين واللسان والقلم، ومهمته الأولى إخفاء خاطفيه والتستر على أسمائهم ووجوههم.

البوشية الراهنة، المعاندة ضد الاستقالة من مشروعها الإمبراطوري الهزلي. والمتمردة على ما يسمى بالمؤسسات الدستورية في بلادها، المناهضة لغالبية الهيئة التشريعية، المتخاصمة مع لجانها وتوجيهاتها الدولتية العليا؛ البوشية هذه أعادت استنساخ النظام العربي الحاكم على صورتها، جعلته حليفها الأول الذي تستقوي به حتى على خصومها في وطنها الأصلي، أفرغت جبته من قاموس المعاني المدنية المتداولة، كالحرية والاستقلال والوطن والأمة والعدالة، لتحبس نطقه المحرج بين لفظي السنة والشيعة فحسب؛ فالبوشية لا تنهزم فقط وإن كانت لا تنتصر لكنها قد تنجح على الأقل في تحقيق النقلة لما تدعي من هندسة وإدارة المستنقع البغدادي إلى صنوه الأكبر في الإقليم كله من حوله، فلماذا لا نصدقها إذن؟

* مفكر عربي مقيم في باريس

الهوية بين المكتسب والأزلي

د. مضاوي الرشيد *

■ سبق الاسلام علماء الاجتماع والسياسة في طرح موضوع الهويات واكتسابها من قبل الافراد والمجموعات حينما بلغ الرسول مستمعيه ان الانسان يولد على الفطرة واكتساب الهوية يأتي نتيجة عملية تربوية يقوم بها الوالدان اولاً والمجتمع ثانياً. هذه الفطرة هي أشبه ما تكون بالخلاء الذي تملأه التربية بموروث ثقافي ولغوي وديني واثني حتى تتكون للفرد شخصية وهوية يقوم هو على أساسها بصياغة خطاب يؤصل لها. مع الأسف ضاعت هذه الرسالة في غياهب الغوغائية والعنف والهمجية التي تشهدها الساحة العربية وقد ساعد في ضياعها هجمات خارجية واضحة وصريحة وهدفها تثبيت هويات أزلية تتصادم وتقتل تحت شعارات فارغة هدفها تأجيج وحشية وعنف يجرفان الجميع في المنطقة الى هاوية الاقتتال الذي يرفع شعار الدفاع عن طوائف واعراق واثنيات تعرف وكأنها مسلمات أزلية هبطت على اصحابها والتصقت بهم حتى اصبحت جزءا من موروثهم الجسدي وعيناتهم الجينية. حديثا توصل علماء الغرب في المجالات الانسانية والدراسات الاجتماعية الى نفس ما بدأت به رسالة الاسلام ولكن جاء وصولهم متأخراً فاعترفوا ان الهويات مبنية ومكتسبة وليست ازلية موروثة تلتصق بالفرد والمجموعة كما يلتصق به لون بشرته. تحرر الغرب عندها من الهويات ومفهومها البيولوجي المتوارث الى نظرة تعتبر هذه الهويات مبنية ومركبة تبرز نتيجة ظروف متعددة تاريخية اهمها علاقة الفرد والمجموعة بالآخر.

وركزت نظريات الهوية على هذا الموضوع اذ اصبحت الهوية لا معنى لها الا بوجود الآخر الذي تحدد العلاقة معه مفهوم شخصية الفرد والمجموعة.

وكما فقد العرب نظرة الاسلام الأولى للهوية كشخصية مكتسبة وليست موروثة لم يستفد هؤلاء من الطرح الحديث لمفهوم الهوية والذي هو ايضا ركز على اكتسابها. واكثر من ذلك تناسى هؤلاء كيف ان الموروث الاجتماعي نفسه قد فتح المجال في السابق لاكتساب الهوية من قبل اشخاص قد ينضمون الى المجموعة وهم ليسوا ممن ولدوا فيها. خذ مثلا بعض العادات والتقاليد القبلية والتي سمحت في الماضي بانضمام الافراد الى قبيلة ما دون ان يكونوا مرتبطين بها او متصلين بشجرتها ولكنهم حملوا اسمها ونجد في بعض الحالات ان هؤلاء الاشخاص قد تزعموا القبيلة بعد ان اصبحوا جزءا منها بالاخاء وعلاقات الاحلاف.

اندثر هذا الموروث الاجتماعي كما اندثرت فكرة الهوية المكتسبة والتي ارتبطت بالاسلام تحت ضغوط عدة في العصر الحديث.

تسييس الهوية لمصالح سياسية واضحة تأتي اما من المحتل او من الساسة الذين يريدون بناء عروش جديدة على انقاض عروش مندثرة. يعتمد هؤلاء على مفهوم خاص للهوية والذي يصورها وكأنها من مسلمات المجتمع وكيانها وليس كمنظومة مكتسبة مبنية على عملية طويلة من التربية والتلقين. في عصرنا هذا فقدنا القدرة على تجاوز مفهوم الهوية الأزلية التي لا تقبل النقاش بل هي ملازمة للفرد والمجموعة تلتصق بهما كما تلتصق الثياب بلابسها. هذا التحول في مفهوم الهوية يؤدي الى تداعيات خطيرة تشهدها الساحة العربية حيث ان الصراع اليوم يصاغ باسلوب وطريقة يكرسان المفهوم الجديد على حساب مفاهيم قديمة استفادت منها الشعوب السابقة حيث انها فهمت مدى قدرة الهوية المكتسبة المطاطية على استيعاب الآخرين ودمجهم في مجتمعات لم يكونوا جزءا منها. وفي عصر التوسع والازدهار الاسلامي نجد ان مفهوم الهوية المكتسبة انتشر وتعمم حتى يساعد الفتوحات السابقة على استيعاب عناصر جديدة وضمها الى المجتمع الأصل. اما اليوم في عصر التشرذم والاقتتال يفعل مفهوم الهويات الأزلية الضيقة الانتقال من مفهوم الهوية المكتسبة المستوعبة لعناصر جديدة الى مفهوم الهوية الموروثة الضيقة حصل نتيجة عوامل طارئة من اهمها: اولا تدخل السلطة السياسية المستبدة الفاقدة لقاعدة شعبية في اما محو الهويات المحلية واما خلق هويات جديدة تصاغ وكأنها منزلة من السماء. تعتقد هذه السلطة ان بامكانها التلاعب بالهويات من أجل مشروع سياسي بحت لذلك نجد ان في عالمنا العربي تتوج بعض السلطات مفهوما خاطئا للهوية وتعتقد ان بامكانها الغاء الهويات مجرد محو بعض الاسماء التي تلتصق باصحابها والكنيات التي تعودوا على الصاقها باسمائهم الثلاثية او الرباعية في محاولة فاشلة لالغاء الهوية القبلية مثلا او الدينية او الطائفية او المناطقية وان تغيرت المعادلة تضطر هذه السلطة الى اعادة السماح لمواطنيها بتسجيل كنياتهم حسب مخطط مدروس للتباهي بالأصل والخصوصية والاصالة العرقية. تعتمد مثل هذه الممارسات السلطوية على مفهوم للهوية ينأى بها عن كونها مبنية ومركبة وخاضعة للصياغة واعادة الصياغة حسب ما تقتضيه المرحلة ومعطياتها.

ثانيا: التدخل الخارجي في المنطقة العربية اعتمد منذ بدايته على رسم خارطة لشعوب المنطقة تحتل فيها مفاهيم الهوية الأزلية الدرجة الاولى في تحديد التصنيف للمجموعات القاطنة لهذه المنطقة. فالعراق مكون من اقليات اثنية وعرقية وطائفية وكذلك سورية ولبنان وحتى مصر بالاضافة الى السعودية ودول المغرب العربي. ترسم خرائط المستعمر لوحات فنية للشعوب المستعمرة حسب معايير يتم الاتفاق عليها مسبقا ويستعمل محور القبيلة والطائفة والمنطقة والإثنية لتحديد مجموعات بشرية تعتبر مغلقة ومسورة بسوار حديدي يفرض عليها مسبقا من قبل الصائغ الغربي. ويغيب عن هؤلاء ان لكل حلقة منافذ وتشعبات وحدود يصعب رسمها بصورة متكاملة تستوعب الانتماءات المتشابكة والمتشعبة التي عرفتها المنطقة على الارض وبين المجموعات البشرية التي تتحاور وتتعاقد وتكمل بعضها البعض. يصور سوار الهوية وكأنه طوق فولاذي يتخندق فيه الجميع ولا يستطيع احد ان يخترقه ويخرج من قيده. هذا السوار يطمح لأن يسجن الافراد والمجموعات في سجن أزلي لا يمكن الفرار من قبضته. ويفسر اي تصرف اجتماعي او سياسي او حتى سلوكي شخصي وكأنه تعبير عن الهوية الأولية وانعكاس لقبضتها على وجدان وسلوك المجموعة المنتمية اليها.

ثالثا: انعكس تأثير العاملين السابقين على سلوك الافراد والذين هم بدورهم بدأوا يتفاعلون مع مفهوم الهوية الأزلية بتبني مقوماتها والتصرف حسب معطياتها. عندها يصبح السلوك الفردي للاشخاص انعكاسا لمعطيات الهوية وما تتطلبه من خصوصية واسلوبا في التعامل مع الآخرين. يفوت هؤلاء ان الهوية للهوية الا بوجود الآخر هذا. يأتي التصرف السلوكي النمطي ليكرس ما تريده السلطة وما يريده الخارج المهيمن والذي يطمح لتخندق المجموعات البشرية في حلقات واضحة وصريحة كل منها يسعى لأن يكرس وجوده على خارطة الهويات المفروضة عليه. ويتصرف المجتمع عندها بوعيه او من غير وعيه على اساس ما هو مفروض عليه وليس على اساس ما اختاره هو. ويسهل هذا السلوك مهمة السلطة والمهيمن الخارجي في ارضاخ هذه الهويات الأزلية لمنظورة الهيمنة والتخطيط ويفقد المرء قدرته على الوقوف خارج ذاته ليتفقد هويته المكتسبة والتي تعلمها ولم يلد بها.

يتأجج الصراع في العالم العربي اليوم ليس على مكاسب اقتصادية او محاور تطرح موضوع الحريات والحقوق العامة والعدالة الاجتماعية والعيش الكريم بل تتمحور الصراعات على اساس تفعيل الهويات ينطلق منها السياسي والمثقف والناشط والعالم من أجل الحصول على مكاسب للمجموعات على اساس انها هويات تحتاج الى النصرة والتفعيل. يبقى المثقف بين هؤلاء في موقف يجب ان يتخذه الا وهو عدم الانجرار الى الفرار من نار السلطة المستبدة والمستعمر المهيمن الى نار الهويات الازلية وصراعاتها الاكثر عنفا ربما مما سبقه من ممارسات جاءت تحت شعارات مختلفة قديمة وجديدة.

ربما لا يكون هذا الخيار سهلا ولكنه الخيار الذي يجب ان تتبناه النخب المثقفة حتى لا تنخرط هي ايضا في مشروع الصراع القائم حاليا على قدم وساق. مهمتها تتلخص في فضح المشروعات المطروحة ومنها التخندق خلف مفاهيم للهوية تعتمد على ازليتها وديمومتها واقصائيتها وليس على مطاطية الهويات وقدرتها على الاستيعاب وليس الاقصاء.

لن يصمد الكثير امام ضغط المرحلة الحالية والتي تتطلب مثل هذا التخندق ولكن ستبقى هناك اقلية من المثقفين الذين يرفضون هذا التخندق لانهم يعلمون ان من ينجرف وراء المشروع لن يترك اثرا فكريا تفتخر به الاجيال القادمة وسيساهم بطريقة سلبية في تدهور الوضع القائم من السيئ الى الاسوأ. وظيفة المثقف اليوم تكمن في رفض اعطاء المصداقية للخطاب السياسي السلطوي او الخارجي تحت غطاء اكاديمي خاطئ. وربما يعود المثقفون الى مفهوم قديم للهوية الذي يصور الانسان وهو مولود على الفطرة ـ مساحة فارغة يتم ملأها وحشوها من قبل الآخرين في صراعهم مع الآخر. ويتذكر ان الهوية قد تستخدم للهدم وليس للبناء. ليتذكر الجميع ان الهوية علاقة وليس شيئا نحمله كما نحمل حقائب السفر. هذه العلاقة هي وليدة الظرف التاريخي والعوامل الاخرى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكما تتغير هذه العوامل تتغير الهويات. وقد حان الوقت لمفهوم الهويات الأزلية التي يفرضها علينا الغير من سياسي متملق ومتسلق لدرج السلطة ومستعمر يعتبرنا خارطة لها حدود أزلية ان يندثر ولن يندثر الا بوعي نخبة صادقة مع ذاتها اولا ومع الآخرين ثانيا.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

حكاية «شحاد ومشارط» والفتنة الكبرى!

محمد صادق الحسيني

■ الى من يهمه أمر العراق ولبنان وفلسطين من العرب والمسلمين نقول بانه: لم يعد اثنان عاقلان في الكون كله يختلفان على ان امريكا باتت في «ورطة» لا تحسد عليها في العراق، فلا هي قادرة على البقاء ولا هي قادرة على الانسحاب لان كلاهما «كارثي» كما قالت الوزيرة السابقة مادلين اولبرايت اثناء جلسة استماع لها في الكونغرس الامريكي قبل ايام!

كما انه لم يعد هناك اي شك لأحد في الكون غير بوش وبعض حوارييه من المنتفعين! بان استراتيجية المحافظين الجدد خاطفي القرار الامريكي والعالمي ـ في العراق قد فشلت تماما، وان ايام بوش العنجهية في العراق باتت «معدودة»! لدرجة دفعت بأحد «تابعيه» او «المتذاكين» على الامريكيين كما يفضل هو وجماعته ان يشيع ان السيد جواد المالكي «تجرأ» و«انتفض» عليه! كما ورد في مقابلة له مع احدى الصحف الايطالية.

هذا بالاضافة الى ان كل الاخبار والتقارير المتسربة سرا او المعلنة عن استراتيجية بوش «الجديدة» في العراق باتت محصورة في شقين: الاول وهو مزيد من الاقتتال العراقي ـ العراقي اي دفع الضحية ليقوم بمهمة الجلاد وهو سيعني فيما سيعني مزيدا من الاقتتال السني ـ السني والشيعي ـ الشيعي واستدراج الاكراد الى بغداد لاستحضار اقتتال كردي ـ عربي مع ما يحمله من احتمالات تفجير اوسع لصراع اثني طائفي حول مدينة كركوك الاستراتيجية.

والثاني هو تحشيد عربي «اعتدالي» «سني» ضد ايران «الشيعية» «الصفوية» الفارسية «المجوسية» التي غدت بين ليلة وضحاها وكأنها هي «المشكلة» في العراق وفي المنطقة.

وان امريكا الجمهورية والديمقراطية لم تعد تتحمل مزيدا من دفع الاموال واسالة الدماء «من أجل عراق غير ناضج» كما يقولون لا لتقبل الديمقراطية ولا ليكون «منارة» للحريات والرفاهية والتقدم واشاعة نمط الحضارة الغربية.

وبالتالي فهم يكادون يجمعون للتوصل الى استراتيجية «ايكال» مهمة العراق الجديد التابع في الفلك الامريكي كما يريدونه الى اهل المنطقة على الشكل التالي:

1 ـ الشيعة المعتدلون من اهل العراق ـ اقرأ التابعون ـ يصفون من لا يزال يفكر بالتمرد على الاستراتيجية الامريكية من الشيعة المتطرفين ايا كانت علاقاتهم الاقليمية او الداخلية.

2 ـ السنة المعتدلون من اهل العراق ـ اقرأ المتطوعون الجدد الذين تقربهم رايس وغيرها وتدربهم في الاردن من بعض عشائر الانبار ـ توكل اليهم اختراع اقتتال سني ـ سني بحجة وذريعة القضاء على الاغراب والقاعدة والارهابيين.

3 ـ ادخال قوات البيشمركة الكردية اي الميليشيات «المنضبطة» امريكيا في صراع مفتوح مع حلفائهم في الحكم من الطبقة السياسية الشيعية الحاكمة في بغداد لفرط «تحالفهم» الهش اصلاً.

4 ـ تحشيد اكبر عدد ممكن من العرب السنة حكاما وشعوبا ونخبا قومية ويسارية واسلامية وليبرالية ومؤمنة تقليدية ومستحدثة او حداثية وشيعة ليبراليين وتقليديين «ومنتظرين» خروج المهدي على الطريقة التقليدية السلبية «الانتظارية» من الذين يفصلون تماما بين الدين والسياسة وجمع ما تمكن من الدراويش والصوفية والمولوية وكل من يقرأ الاسلام او التشيع بغير القراءة الايرانية الثورية المعروفة.. تحشيد هؤلاء كلهم ضد ايران المتمردة على «المجتمع الدولي» الطامحة بالقوة النووية و«الطامعة» بالاستحواذ على العرب والتحكم بأمنهم القومي من بغداد الى بيروت الى القدس.

هذا هو المشهد الذي تحاول ان تصنعه امريكا فيما تبقى من استراتيجية الفشل الذريع الذي تم تجربته لمدة اربع سنوات على حساب مقدرات العراق واهله الشرفاء والمقاومين بواسطة حفنة من العملاء والتابعين ممن لا دين ولا طائفة ولا لون ولا عرق ولا دم لهم الا دنيا المال والمنفعة والجاه والسلطان.

وهي تريد ان تكمله اليوم نجاة لجنودها وحفظا لاموالها وانقاذا لما تبقى من سمعتها باموال تقول ان العرب الخليجيين يجب ان يدفعوها ولوجستيكيا تقول ان الاردن يجب ان يقوم بها وتغطية سياسية تقول ان مصر يجب ان توفرها ودماء جديدة تقول ان العراقيين والايرانيين يجب ان يدفعوها.

لماذا؟ من أجل «زراقة» عيون العم سام واليانكي القاتل المتوحش والمتعطش للجريمة والقتل والاغتصاب وتعذيب النفس البشرية في ابو غريب وغوانتانامو وحديثة والنجف والفلوجة والانبار وما تبقى من بلاد العرب والمسلمين.!

ومن ثم يتجرأ نائب كوندوليزا رايس صاحب نظرية الفتن المتنقلة في لبنان «ولش» ليقول: نريد ان نقول للايرانيين اتركوا العراق وشأنه!!

وللسوريين طبعا.. اتركوا لبنان وشأنه!! وكأنه هو ومن معه من خاطفي القرار الدولي من اهالي البصرة او الموصل او النجف او الرابية او مرجعيون او بيروت او صيدا او صور!! فعلا «شحاد ومشارط» كما يقول المثل اللبناني.. يشحذ لجنده وقادته هو وسيده بوش بدماء أهل المنطقة واموالها.. اليست هي الحقيقة كلها؟

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ
فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 723152
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN